الـفـصـل الرابع
العلوم في المدارس الأيوبية في مدينتي القاهرة وحلب وأبرز أعلامها

obeikandl.com

obeikandl.com

شهد العصر الأيوبي اهتماما كبيرا بالعلم والعلماء ، وقد لاحظنا هذا الاهتمام لدى الحكام الأيوبيين في القاهرة وحلب وذلك من خلال بناء مدارس ومعاهد التعليم ورعايتها من حيث الأوقاف وغيرها ، وكذلك اختيار المدرسين الأكفاء والمعيدين أيضا ، وكان الاهتمام أيضا بالعلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس فكثيرا ما كان الواقف يشترط تدريس العلم أو العلوم التي يجب أن تدرس في المدرسة التي يوقفها ، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى ثقافة العصر الذي شهد اهتماما بالغا بالعلوم الشرعية والعلوم المتداخلة معها من أجل إعداد جيل مسلم من أجل مواجهة الخطر الصليبي من خلال إذكاء روح الجهاد والحث على استعادة الأراضي المقدسة و كذلك خطر الأفكار الشيعية التي كانت إحدى الأسباب المهمة لبناء المدارس، وهذا تطلب تعليم الناس الدين الصحيح وترغيبهم بالجهاد من خلال أحاديث الرسول "ص" وهذا دفع إلى ازدهار العلوم الشرعية والعلوم العربية والعلوم الأخرى المساعدة ، سواء من حيث الكيف أو من حيث الكم.

غلب على هذه العلوم بشكل عام طابع الازدهار الكمي دون الازدهار الكيفي،أي ازدياد عدد المؤلفات، ولكن غلب عليها طابع التكرار ، وقد اقتصرت بعض المؤلفات على وضع حواشي والتعليق على المؤلفات السابقة وبعضها اقتصر على ترجمة شخصيات المذهب عصر وسوف نلحظ ذلك من خلال التحدث عن هذه العلوم وأبرز أعلامها في هذا العصر بشكل مفصل. الأمر الأخر وهو لم نلحظ في المصادر ولا حتى في المراجع الحديثة ما يثبت أن العلوم العقلية من طب وفلك وغيرها قد درست بهذه المدارس في العصر الأيوبي ، وسوف نبدأ بالعلوم الشرعية:

أولا :العلوم الشرعية :

كان الاهتمام بالعلوم الشرعية يشكل الحجر الأساس في المدارس، فكانت هي العلوم الطاغية بل هي الأهم في المناهج المدرسية في هذا العصر ، بالإضافة إلى علوم أخرى تخدمها، وقد ذهب الإمام الماوردي (ت 450هـ/1058م) إلى أن أفضل العلوم هي علوم الدين إذ

OpenKanal.com

قال: إنه "إذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها ، والعناية بأولها ، وأفضلها علم الدين ، لأن الناس بمعرفته يرشدون ، وبجهله يضلون ، إذ لا يصلح أداء عبادة جهل فاعلها صفات أدائها ، ولم يعلم شروط أجزائها" [1] .

وهذا ما قاله ابن جماعة (ت 733هـ/1332م): " إذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف، والأهم فالأهم ، فيقدم تفسير القرآن ، ثم الحديث ، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل" [2] .

وقد عرف ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) العلوم الشرعية بأنها: العلوم النقلية الوضعية وكلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل ، وان أصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة ، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للإفادة" [3] وتشتمل العلوم الشرعية على فروع عديدة أهمها:

1- علم القراءات:

القرآن الكريم أنزله الله تعالى على رسوله رحمة للعالمين، و هو مصدر التشريع الأول لدى المسلمين، وتفرعت عن دراسة القرآن علوم عديدة مثل: علم القراءات، وتجويد القرآن، وتفسير القرآن، ودراسة أحكامه، وأسباب نزوله وغيرها. وكان المسلمون قد حرصوا على تعليم أبنائهم القرآن الكريم منذ الصغر، وعلى مداومة قراءاته كل يوم حتى يحفظوه، ويتقنوا قراءته و تجويده امتثالا لأمر الرسول (ص) القائل: (خيركم من تعلم القران وعلمه)[4] .

ولقد اهتم علماء المسلمين بالقراءات القرآنية حتى أصبح علما مهما بين علوم القرآن بخاصة و العلوم الشرعية بعامة، وصنف في هذا العلم العديد من المؤلفات نظما ونثرا.

1- علي بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا والدين، تح مصطفى السقا، ط4، دار الكتب العلمية ، بيروت 1978، ص44.

2- تذكرة السامع والمتكلم ، ص35-36.

3- المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة د.ت ، ص401.

4- البخاري، صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية ، استانبول 1979م ،ج6، ص108.

obeikandl.com

وقد عرف علم القراءات بأنه: علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وفائدته صون كلام الله تعالى عن التحريف و التغيير و التبديل[1] .

ويقول ابن خلدون: القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي الصحف، و هو متواتر بين الأمة. إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله (ص) على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايته من الحجم الغفير. فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة ، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر ألحقت بالسبع، إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل[2] .

ويتضمن علم القراءات فروعا عديدة منها: مخارج الحروف، و مخارج الألفاظ ،وعلامات الوقف، وعلل القراءات، ورسم كتابة القرآن في المصاحف ، وآداب كتابة القرآن بالمصاحف[3] .

شهد هذا العلم في العصر الأيوبي اهتماما كبيرا، وبرز منه علماء كثر في القاهرة وحلب ، وكانوا مدرسين في المدارس الأيوبية وفي الجوامع، وأضافوا إلى هذا العلم الشيء الكثير ومن أبرز هؤلاء المقرئين في مدينة القاهرة نذكر: الشاطبي و هو القاسم بن خلف بن أحمد أبو القاسم الشاطبي ولد سنة 538هـ/1143م ، بشاطبة[4] بالأندلس وقرأ ببلده القراءات ،

1- طاش كبري زادة، مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت 1985م، ص6.

2- المقدمة، ص402.

3- طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج2، ص333-341.

4- شاطبة : بالطاء المهملة والباء الموحدة مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة ، وهي مدينة كبيرة قديمة خرج منها كثير من الفضلاء، ويقال أن اشتقاقها من السعفة وهي السعفة الخضراء الرطبة وشطبن المرأة الجريدة شطبا إذا شققتها لتعمل حصيرا.
(الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ،ص309).

obeikandl.com

وكانت قراءة ورش[1] قد انتقلت إليها، ثم رحل إلى بلنسية [2]،قرأ كثير من كتب النحو والتفسير ثم توجه إلى الحج فسمع من أبي الطاهر السلفي[3]،بالإسكندرية ، ولما دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل وعرف مقداره ، وأنزله بمدرسته التي بناها داخل القاهرة " الفاضلية " وجعله شيخها وعظمه تعظيما كثيرا ، وبهذه المدرسة نظم الشاطبي قصيدته اللامية والرائية في القراءات ، وجلس للإقراء ، فقصده الخلائق من الأقطار ، فلما فتح صلاح الدين بيت المقدس توجه فزاره في سنة 579هـ/1183م ، ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرئ بها حتى مات سنة 590هـ/1193م ، بالقاهرة ودفن بمقبرة القاضي الفاضل [4] .

و أبو الحسن الدهان علي بن موسى السعدي المصري المقرئ والزاهد ، ولد سنة 577هـ/1181م ، وتصدر للإقراء بالفاضلية، وكان ذا علم وعمل ، مات سنة 665هـ/1266م [5] وآخرهم في العصر الأيوبي عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس بن

1- ورش هو : عثمان بن سعيد أبو سعيد المصري المقرئ ، وقيل أصله من أفريقية ، ولد سنة 110هـ/ 728م ، قرأ القرآن وجوده على نافع بن عبد الرحمن ، ونافع هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه والورش شيء يصنع من اللبن ، ويقال لقبه بالورشان وهو طائر معروف ، فكان يقال أقرأ يا ورشان ثم خفف وقيل ورش ، انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية ، توفي سنة 197هـ/ 812م . (الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، تح بشار عواد وآخرون ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1983م ، ج1 ، ص152-155)

2- بلنسية : السين مهملة مكسورة ، مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة تدمير وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة وهي برية بحرية ذات أشجار وانهار. (الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص491)

3- هو أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ السلفي ولد سنة 470هـ/1077م، طاف الدنيا ولقي المشايخ ، وكان يمشي حافيا في طلب الحديث والعلم ، وقدم دمشق وغيرها ، وسمع بعدة بلاد، ثم دخل مصر وسمع بها ، واستوطن الإسكندرية ، وظل يدرس الحديث بمدرسته حتى توفي سنة 576هـ/1180م. (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص87)

4- ابراهيم اليعمري المالكي، الديباج المذهب، ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت ، ص224 ؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية ، ج2، ،ص35 ؛ عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصريين الأيوبي والمملوكي الأول ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999م، ص233-235.

5- السيوطي ، حسن المحاضرة ، مج1، ص233-234.

الحاجب الكردي ، ولد بأسنا من أعمال الصعيد سنة 570هـ/1175م ، الأصل المالكي الذي تلقى دروسه في صباه بالمدرسة الفاضلية، ثم انتقل إلى الشام وبقي مدة إلى أن دخل القاهرة سنة 638هـ/1240م، فتولى مهمة تدريس علم القراءات بالمدرسة الفاضلية مدة ثم انتقل إلى الإسكندرية فكانت وفاته بها سنة 646هـ/1248م [1] وكان هناك مقرئين قاموا بالتدريس بالجوامع مثل جامع عمرو بن العاص وغيره،ولكن اقتصرنا على المقرئين الذين كانوا في المدارس.

كان عدد القراء في حلب أقل من القاهرة ربما لأن القاهرة كانت هي العاصمة، وكانت أيضا على طريق الحج المغربي مما جعل كثير من العلماء والمقرئين المغاربة والأندلسيين يستقرون فيها . أما في حلب فقد كان معظم العلماء مقرئين ولكن نذكر أهم من اختص بالإقراء في مدينة حلب منهم:

أبو عبد الله الفاسي وهو جمال الدين محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي المقرئ نزيل حلب ، أخذ القراءات عن ابن شداد وانتهت إليه رياسة الإقراء بحلب وأخذ منه خلق كثير منهم الشيخ بهاء الدين محمد بن النحاس الحراني وغيره ، مات سنة 656هـ/1258م ، ومن المقرئين في حلب أحمد بن عبد الله بن الزبير الإمام شمس الدين أبو العباس الخابوري ثم الحلبي المقرئ الشافعي خطيب جامع حلب الكبير، وقرأ القراءات على الشيخ السخاوي[2] وغيره وتقدم بالفقه والعربية ، وتصدر للإقراء في حلب توفي سنة 690هـ/1291م [3]،و أبو الأصبغ السماني الأشبيلي المقرئ، توفي في أواخر القرن السادس الهجري أصله من إشبيلية في

1- الأدفوي ، الطالع السعيد ، تح سعد محمد حسن ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2000م،ص353-355 ؛ أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر ، ص121.

2- علي بن محمد أبو الحسن السخاوي ، ولد بسخا قرية من قرى مصر ، ولد سنة 588هـ/ 1192م ، اشتغل بالفقه على مذهب مالك بمصر ، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي ولما قدم الشاطبي مصر واشتهر أمره لازمه مدة وقرأ عليه القرآن سافر إلى دمشق وكان له حلقة بالجامع الأموي توفي سنة 643هـ/1245م. (الحموي ، معجم الأدباء "إرشاد الأريب على معرفة الأديب" ، ط2، دار المأمون ، القاهرة د.ت .ج15 ، ص65-66)

3- الذهبي ، القراء الكبار ، ج2 ، ص300-301، 661، 669، 710.

obeikandi.com

بلاد الأندلس ، وفيها أخذ القراءات، وكان مقرئ في بلاده، ولكنه رحل إلى فاس[1] ثم العراق ، وكان يقرأ القراءات فيها ، وكان له قبول لبراعته في معرفتها وعللها و أخيرا استقر في حلب وتوفي فيها وكان يقيم الحلقات العلمية وصنف كتاب في القراءة اسماه " الوقف والابتداء " [2].

2- **علم التفسير:**

عرفه الجرجاني بقوله: هو الكشف والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، و السبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة [3].

وعرفه التهانوي أيضا بأنه: و هو علم يبحث به عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، و بحسب ما تقتضيه القواعد العربية، و يستفاد منه في القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة[4].

علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها وأقاصيصها، و الأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها، وحرامها، ووعدها، ووعيدها، وأمرها، ونهيها، وأمثالها وغيرها[5].

ويحتاج هذا العلم إلى خمسة عشر علما هي: اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، وعلم القراءات ليعرف به كيفية النطق بالقرآن، وأصول الدين، وأصول الفقه، و أسباب النزول و القصص، و الناسخ والمنسوخ، و الفقه و الأحاديث، و الموهبة [6].

1- فاس : بالسين المهملة ، مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر واجله مدنه قبل أن تختط مراكش (الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص230)

2- الذهبي ، القراء الكبار ، ج2، ص440 ؛ رضوان الليث، الحياة العلمية، ص255.

3- الجرجاني، التعريفات ، مكتبة لبنان، بيروت 1985م، ص61.

4- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون ، تح لطفي عبد البديع وترجم النصوص الفارسية عبد النعيم حسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1963م ، ج2، ص54.

5- المصدر نفسه، ج1، ص33.

6- المصدر نفسه، ج1، ص35.

ازدهر هذا العلم في العصر الأيوبي، وظهر عدد من المفسرين في مدينتي القاهرة وحلب وبرعوا في جميع العلوم نذكر أهمهم في مدينة القاهرة:

ابن السرَايا وهو منصور بن سرَايا بن عيسى بن سليم أبو العباس الأنصاري، كان من الحذاق المقرئين، ونظم أرجوزة في القراءات، وصنف تفسيرا ولد سنة 570هـ/1174م ، ومات سنة 651هـ/1253م[1]وابن المنير الطرابلسي أحمد بن منصور ولد سنة 620هـ /1223م ، وكان إماما بالنحو والأدب والأصول والتفسير، وله يد طولى في علم البيان والإنشاء ، وتتلمذ على جماعة منهم ابن الحاجب، وله مؤلفات وله تآليف حسنة منها تفسير القرآن ، سماه : البحر الكبير في نخب التفسير[2]،وكتاب الانتصاف من الكشاف وهو مطبوع ، وكتاب الاقتضا في فضائل المصطفى وغيرها كثير مات سنة 683هـ/1284م [3] .

نذكر أيضا ابن النقيب وهو محمد بن سليمان بن الحسن ولد بالقدس سنة 621هـ/1224م ، أو سنة 611هـ/1214م ، كان فقيها حنفيا واشتغل أكثر دهره بالتفسير، وقدم مصر فتتلمذ على بعض أساتذتها ودرس بالعاشورية إحدى مدارس الحنفية ، وأقام مدة بالجامع الأزهر ثم عاد إلى القدس ومات فيها سنة 698هـ/1298م ، وله كتاب في التفسير سماه " التحرير والتحبير ، لأقوال أئمة التفسير ، في معاني كلام السميع البصير" [4] .

1- السيوطي ، طبقات المفسرين ، تح علي محمد عمر ، ط1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة 1986م ، ص25 ؛

عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، ص192.

2-وهو مخطوط بدار الكتب الوطنية رقم 60 تفسير.

3- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص272 ؛ أحمد بدوي ، الحياة العقلية، ص119.

4- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ، تح إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت 1973م ، ج2، ، ص215 ؛

أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص121.

obeikandl.com

نبغ في حلب عدة علماء في مجال التفسير نذكر أهمهم : عالي بن ابراهيم الغزنوي أحد علماء حلب المبرزين في التفسير و الفقه و اللغة العربية و الأصول و الجدل[1] .

لقي الزمخشري[2] وقرأ عليه وكتب عنه، و لما عاد إلى حلب أقام بها مدرسا ، وألف في الفقه والتفسير وسمى مؤلفه فيه "تقشير التفسير" فرغ منه في حلب سنة 572هـ/1176م ، وفيه أعاريب ومسائل نحوية ، وكانت وفاته سنة 582هـ/1186م[3] .

3- **علم الحديث:**

هو العلم الذي يبحث عن كيفية الأحاديث بالرسول (ص) من حيث أحوال رواتها ضبطا وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا، وغير ذلك من الأحوال وهذا ما يسمى بعلم رواية الحديث.أما علم دراية الحديث فهو يبحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد مبنيا على قواعد اللغة العربية، وضوابط الشريعة ومطابقا لأحوال النبي (ص) [4] .

1- عرّف ابن خلدون الجدل بقوله "هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فأنه لما كان كل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب ، يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صوابا ، ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا و أحكاما ، يقف المتناظرين عند حدودها ، في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا ، وكيف يكون مخصوما منقطعا وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال" (المقدمة ، ص399)

2- هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ، ولد بقرية زمخشر من قرى خوارزم سنة 467هـ/ ومات بجرجانية خوارزم سنة 538هـ/ كان إمام عصره في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، إليه تشد الرحال له تصانيف منها: الكشاف في تفسير القرآن العزيز، والمحاجاة بالمسائل النحوية ، والمفرد والمركب في العربية ، والفائق في تفسير الحديث وغيرها كثير. (ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص169-173)

3- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ،ط1، مطبعة عيسى البأبي وشركاه ، حلب 1964م ، ص325، أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص114.

4- طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج2، ص52، 113.

obeikandl.com

قال السمعاني : أعلم وفقك الله أن علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه و تعالى إذ الأحكام مبنية عليهما و مستنبطة منهما والله سبحانه و تعالى شرف نبينا (ص) حيث قال: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" [1] .

وقال أيضا: وأقوال الرسول الله (ص) لا بد لها من النقل ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح و الصحة في الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة و العدل عن العدل[2] .

وعن أهمية السماع في الحديث قال: وأخذ الحديث عن المشايخ يكون على أنواع منها أن يحدثك به المحدث، ومنها أن تقرأ عليه، ومنها أن يقرأ عليه وأنت تسمع، ومنها أن تعرض عليه و تستجير منه روايته، ومنها أن يكتب إليك ويأذن لك في الرواية فتنقله من كتابه أو من فرع مقابل بأصله. وأصح هذه الأنواع أن يملي عليك وتكتبه من لفظ لأنك إذا قرأت عليه ربما تغفل أو لا يستمع، وإن قرأ عليك فربما تشتغل بشيء عن سماعه، وإن قرأ عليه والحضر سماعه كذلك.

أما عن إملاء الحديث فقال: وأما إذا أملى عليك المحدث وكتبت أنت من لفظه فلا يتطرق إليه نوع من الفساد لأنه يعرف ما يملي وأنت تسمع و تفهم وتكتب [3] .

شهد العصر الزنكي الأيوبي اهتماما بالغا بالحديث وعلومه، فقد أقام نور الدين زنكي دار للحديث وتبعه الأيوبيون في ذلك فأنشأت دار الحديث الكاملية وكان صلاح الدين وخلفائه مهتمين بالحديث وقد بلغ الحديث في هذا العصر أوج وأزهى عصوره وكان في هذا العصر محدثين كثر في مدينتي القاهرة وحلب وكان لهم مصنفات كثيرة وقيمة نذكر منهم في القاهرة:

1- القرآن الكريم، سورة النجم ، آية 4، 5.

2- الإملاء والإستملاء، ص63.

3- المصدر نفسه، ص69،67.

obeikandl.com

عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي، أوحد زمانه في علم الحديث والحفظ، ولد سنة 541هـ/1146م ، من قرية جماعيل [1]،وهاجر صغيرا إلى دمشق بعد الخمسين فسمع الحديث فيها، وأيضا سمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ السلفي وتنقل بين البلاد كثيرا، وصنف التصانيف الكبيرة والشهيرة، ولم يزل يسمع ويكتب إلى أن مات سنة 600هـ/1203م بمصر، له كتاب المصباح في 48 جزءا ، ونهاية المواد من كلام خير العباد في مائتي جزء ، وتحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين في أحد عشر جزء[2]،ومن المحدثين المشهورين في القاهرة عبد العظيم المنذري ، زكي الدين أبو محمد المصري الشافعي ، ولد بمصر سنة 581هـ/1185م، ولي مشيخة دار الحديث الكاملية، وانقطع بها عشرين سنة ، وكان من المشاهير في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه[3]،كان حافظا كبيرا حجة ثقة عمدة له كتاب الترغيب والترهيب ، والتكملة لوفيات النقلة ، وكتاب كفاية المتعبد وتحفة المتزهد، وهو مخطوط بدار الكتب رقم 37 مجاميع – حديث ، وبرع أيضا في العربية والفقه والحديث ، وشرح التنبيه وغير ذلك ، مات سنة 656هـ/1258م[4]،وأخيرا الشريف الدمياطي ولد في بلدة تونة[5]وهو شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف التوني الشافعي، إمام وحجة في الفقه والنسابة ، وشيخ المحدثين ولد سنة 613هـ/1216م ، وتفقه وبرع وطلب الحديث وتخرج بالمنذري ، وصار له معيدا ، مات سنة 705هـ/1305م[6] وكان في مصر كثير من المحدثين حاولنا ذكر أهمهم.

1- جماعيل : قرية من جبل نابلس من أرض فلسطين. (الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص159)

2- العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج2، ص345، السيوطي، حسن المحاضرة ، مج 1، ص305 ؛ أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص135.

3- السيوطي، حسن المحاضرة ، مج1، ص306.

4- العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج3، ص277 ؛ أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص138–139.

5- تونة: جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية. (الحموي، معجم البلدان ، ج2، ص62)

6- السيوطي ، حسن المحاضرة، مج1، ص308، أحمد بدوي، الحياة العقلية ، ص143–144.

obeikandl.com

شهدت مدينة حلب في العصر الأيوبي عددا من المحدثين نذكر من أهمهم: بهاء الدين ابن شداد، وهو أبو العز يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي الشافعي ولد سنة 539هـ/1144م ، قرأ القراءات والعربية بالموصل على طائفة من العلماء، وبرع في الفقه والعلوم الشرعية وساد أهل زمانه وصنف التصانيف[1] درس في مدرسة الكمال الشهرزوري بالموصل زار الشام واتصل بصلاح الدين الأيوبي ، وحظي عنده وولاه قضاء العسكر وقضاء بيت المقدس وصنف كتابا في فضل الجهاد، ولما توفي السلطان اتصل بهاء الدين بابن صلاح الدين الملك الظاهر فولاه قضاء حلب وناظر أوقافها ، وأجزل رزقه وعطاءه، وأقطعه إقطاعا جزيلا ، وبنى مدرسة وتربة وبينهما دار حديث تعرف بالبهائية نسبة له. وقصده الطلبة للدين والدنيا ، توفي سنة 632هـ/1234م . ومن تصنيفه : دلائل الإحكام على التنبيه في مجلدين،مخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس رقم 736، وكتاب الموجز الباهر في الفقه ، وكتاب ملجأ الحكام عند التباس الأحكام في الأقضية في مجلدين وهو مخطوط بدار الكتب بمصر رقم 46 فقه، وسيرة صلاح الدين الأيوبي ، التي أجاد فيها وأفاد ، وتعرف بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، التي حققه الدكتور جمال الدين الشيال [2] .

يعتبر كتابه دلائل الإحكام أهم مؤلفاته في مجال الحديث ويرى من يعرف الكتاب مؤلفه إذ يقول في مقدمة الكتاب " رأيت أن أجمع كتابا يجمع بين التنبيه على الحديث في أي كتاب ذكر، ومما اتفق على نقله من أئمة الحديث المشهورين، وأنبه على أنه صحيح أو غريب، وأنبه على اختلاف العلماء من الصحابة فمن بعدهم من المجتهدين في أخذ الأحكام منه، مع الاختصار عن التطويل المانع من التحصيل، سيما لأبناء الزمان المجبولين على السآمة والتعطيل " ، ثم فصل هذا الإجمال بفصول : الفصل الأول : في رواية الكتب التي نقلت منها، الفصل الثاني: شرح ألفاظ تكررت، وهي مصطلحات مهمة للمحدثين وعبارات

1- العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، 158.

2- ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، ص130 ؛ سفانة الجبوري، التكوين العلمي للقاضي بهاء الدين بن شداد، ص185-195.

obeikandi.com

صدرت من المؤلف ، وفيه فوائد قيمة . وحصل على إجازات كثيرة ، وأجاز هو كثير من الطلبة، وقصده الطلاب من كل مكان لعلمه ومكانته[1] .

4- الفقه وأصوله :

الفقه لغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه. واصطلاحا: هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية.وقيل هو الإصابة و الوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم و هو علم مستنبط بالرأي و الاجتهاد، ويحتاج فيه النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن نسمي الله تعإلى فقيها لأنه لا يخفي عليه شيء[2] .

وعرفه ابن خلدون بقوله: علم الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر، والندب، والكراهة و الإباحة، وهي متلقاة من الكتاب و السنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها "فقه"[3].

وعرف طاش كبري زادة علم الفقه بأنه: علم يبحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية، وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية [4] .

أما علم أصول الفقه فهو علم يتعرف منه على استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية، والغرض منه تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية و الفرعية من أدلتها الأربعة التفصيلية، الكتاب والسنة والإجماع والقياس[5] .

ولكن الخوارزمي لا يجعل القياس من الأدلة المتفق عليها، و لكن من الأدلة المختلف فيها فيقول: أصول الفقه المتفق عليها ثلاثة: كتاب الله عز وجل ، وسنة رسول الله (ص)،

1- نور الدين عتر، القاضي المحدث ابن شداد وآثاره العلمية، بحوث ندوة الحركة العلمية و الأدبية في حلب زمن الأيوبيين، حلب 2006م، ص56.

2- الجرجاني، التعريفات، ص167.

3- المقدمة ، ص410.

4- مفتاح السعادة، ج2، ص173.

5- طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ، ج2، ص 163.

obeikandi.com

وإجماع الأمة. والمختلف فيها ثلاثة: القياس ، و الاستحسان، والاستصلاح.[1]وعلم الفقه كغيره من بقية العلوم مر بمراحل حتى وصل إلى مرحلة النضج:

- **المرحلة الأولى:** وتتمثل بمرحلة النشأة وكانت منذ عهد الرسول "ص" وحتى وفاته، فكان صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي من الله عز وجل بالقرآن الذي يحوي على الأحكام الشرعية وهو بدوره يبلغها أصحابه، الذين يفهمونها ويحفظونها ويعملون بها ، وكذلك ما يصدر عن الرسول "ص" من قول أو عمل.

- المرحلة الثانية: وتمثل مرحلة الاجتهاد، وامتدت هذه المرحلة منذ خلافة أبي بكر الصديق وحتى أوائل القرن الثاني الهجري، نظرا لتوسع الدولة الإسلامية وظهور العديد من المشاكل التي كان على العلماء معالجتها وفقا لأحكام الشريعة، وبما أن بعض المشاكل ليس فيها نص من الكتاب أو السنة فقد لجأ الصحابة و التابعون إلى الاجتهاد، ولكن شريطة أن لا يخرج الاجتهاد أو يبتعد عن الشريعة،وهذا مشروع أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

أما عن الفترة التي نتحدث عنها فقد تناولها الباحثون في مجال التشريع في هذه الفترة بمنهجيين اثنين: الأول: يرى أن الفقهاء توقفوا عن الإبداع لأسباب ذاتية، فأكثروا من مناظرة أصحاب المذاهب الأخرى، وصنفوا كتب الخلاف ، وألفوا في مناقب فقهاء المذهب، وعللوا الأحكام التي وصلت إليهم ممن قبلهم من الفقهاء ، ورجحوا بين هذه الأحكام.

الثاني: يرى أن الفقهاء توقفوا غالبا عن إنتاج أحكام فقهية جديدة لأسباب موضوعية تتمثل في سبق الأولين إلى الوصول إلى ما يمكن للفقيه الوصول إليه من معاني النصوص[3].

1- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح عبد اللطيف محمد العبد، دار النهضة العربية، القاهرة د.ت، ص14.

2- رضوان الليث، الحياة العلمية ، ص279-280.

3- بلال صفي الدين ، الفقه زمن الأيوبيين ، بحوث ندوة الحركة العلمية والأدبية في حلب زمن الأيوبيين ، حلب 2006م، ص58.

obeikandl.com

أ- المذهب الشافعي:

هذا المذهب ينسب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة 204هـ/820م ، انتقل إلى مصر سنة 199هـ/814م ، واستوطنها حتى توفي فيها، ثم نشر طلبته مذهبه في العراق، وأخذ في الازدياد حتى شمل بعض أجزاء من بلاد المشرق الإسلامي واليمن والحجاز، أما في بلاد الشام فكان أكثر المذاهب السنية انتشارا[1]،لذلك برز في كثير من العلماء في القاهرة وحلب نذكر أهم أعلام هذا المذهب في القاهرة:

أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي. المعروف بابن زين التجار. كان من أعيان الشافعية، تولى تدريس المدرسة الناصرية المجاورة للجامع العتيق بمصر، وطالت مدته فيها، فعرفت المدرسة به وهي الآن معروفة بالشريفية؛ مات سنة 591هـ/1194م[2] ،والشهاب الطوسي أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد كان شيخ الفقهاء ، وصدر العلماء في عصره ، إماما في فنون ، تفقه على جماعة من أصحاب الغزالي ، منهم محمد بن يحيى ، وقدم مصر فنشر بها العلم، ووعظ وذكر، وانتفع به الناس وكان معظما عند الخاصة والعامة ، وعليه مدار الفتوى في مذهب الشافعي . اتصل بتقي الدين عمر، وله أنشأ مدرسة منازل العز " التقوية " ، وولاه أمرها. ولد سنة 522هـ/1128م ، وتوفي بمصر سنة 596هـ/1199م ، وحمله أولاد السلطان رقابهم[3] .

وصدر الدين محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجويني برع في المذهب، وأفتى ودرس، وولي تدريس الشافعي والمشهد الحسيني ومشيخة سعد السعداء[4]

1- ابن النديم، الفهرست ، تح محمد عوني عبد الرؤوف، إيمان جلال، ج1، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2006م، ص209 ؛ رضوان الليث ، المرجع السابق، ص283.

2- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص350.

3- ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، ص110، السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص350.

4- يطلق على هذه الخانقاه اسم الخانقاه الصلاحية أو دار سعيد السعداء، وهي بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا دارا تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء ثم وقفها السلطان صلاح الدين للفقراء الصوفية الو رادين من البلاد الشاسعة ، ورتب لهم كل يوم طعاما وخبزا ولحما ، وبنى لهم حماما بجوارهم. وكان سكانها من الصوفيين يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وكان لهم هيئة فاضلة يوم الجمعة بطريقة ذهابهم إلى الصلاة وكان الناس يأتون إلى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون إلى صلاة الجمعة. (المقريزي ، الخطط ، ج4 ، ص273-274 ؛ حامد زيان ، العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي " أسرة شيخ الشيوخ " ، مطبعة دار نشر للثقافة ، القاهرة 1978م ص،14).

،وجعله صلاح الدين مدرسا في المدرسة الصلاحية التي تقع بجوار الإمام الشافعي عام 587هـ/1191م، وبقي صدر الدين على حاله في عهد خلفاء صلاح الدين فقد أبقاه العادل 589-615هـ/1193-1218م على مشيخة سعد السعداء و التدريس أيضا وأرسله رسولا إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله[1]،لنقل أنباء الحملة الصليبية الخامسة[2] على عكا،مات سنة 617هـ/1220م[3] .

وممن برز من فقهاء الشافعية في مدينة حلب نذكر أهمهم: الشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي ، درس بالمدرسة الهروية التي بناه الملك الظاهر 589-613هـ/1193-1216م لأجله، له توا ليف حسنة ، وكان يعرف السيما " الكيمياء " ، توفي سنة 611هـ/1214م ، ودفن بقبة المدرسة [4]،وكمال الدين أبو الفضائل أحمد بن الحسن بن عبد الله بن الحجاج الكردي، درس بالمدرسة الراوحية ولم يزل بها إلى أن توفي سنة 645هـ/1247م [5]،وشرف الدين بن العجمي صاحب المدرسة الشرفية ، وكان مدرس الظاهرية البرانية هو وأولاده من بعده توفي سنة 642هـ/1244م [6]

1- هو الخليفة الرابع والثلاثون من خلفاء بني العباس تولى الخلافة بعد أبيه المستضيئ بأمر الله وحكم من سنة 575-622هـ/1180-1225م . (ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1996م ، ج2 ، ص88 ،144)

2- دعا إليها البابا هونريوس الثالث عام 1217م ، وكانت هذه الحملة تحت قيادة ممثل البابا ، وتوجهت الحملة إلى مدينة عكا بعد تجمع الحشود الصليبية بعكا قادها حنا دي برين ملك الصليبين في عكا إلى شمال الدلتا حيث رست السفن الصليبية عام 615هـ/1218م أمام دمياط ،واستولوا على ميناء دمياط في نفس العام انتهت هذه الحملة سنة 1221م. (سهيل زكار وآخرون ، حروب الفرنجة (الصليبية) منشورات جامعة دمشق 2005 ، ص331-335 ؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر – إلى القرن الرابع عشر ، ت بشير السباعي ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة 2003م ، ص220-225)

3- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص352 ؛ حامد زيان، العلماء بين الحرب والسياسة، ص15-17.

4- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج22 ، ص56، ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج3، ص346، ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب، ج1، ص320.

5- المصدر نفسه، ج1، ص309.

6- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص261.

ب- المذهب الحنفي:

ينسب هذا المذهب إلى أبي حنيفة : النعمان بن ثابت، وهو من الكوفة[1] ومات بها سنة 150هـ/767م، وله كتاب الفقه الأكبر وكتب أخرى[2]،نشأ هذا المذهب بالكوفة موطن أبي حنيفة، ثم انتشر في سائر بلاد العراق، ثم شاع أكثر في بلاد المشرق من دار الإسلام مثل بلاد الهند والسند وغيرها من بلاد الإسلام ، وانتشر أيضا في اليمن ومصر وبلاد الشام[3] .

برز في مدينتي القاهرة وحلب عدد من فقهاء الحنفية نذكر أهمهم في مدينة القاهرة :

عبد الله ابن محمد بن سعد الله الجريري ، يعرف بابن الشاعر ، برع في مذهب أبي حنيفة ، وقدم صحبة صلاح الدين بن أيوب مصر ، فأقام بها يفتي ويدرس بالمدرسة السيوفية ويعظ، إلى أن مات سنة 584هـ/1188م ، وكان مولده سنة 513هـ/1119م ببغداد[4] .

برع في المذهب الحنفي أيضا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله القزويني الأصل الإسنوي المولد جمال الدين . برع في مذهب أبي حنيفة، واكب على العبادة ، واشتهر وقصده الناس للاشتغال عليه، ودرس بالصالحية والسيوفية. مات بالقاهرة في حدود سنة 680هـ/1281م، والقاضي صدر الدين موسى بن زكريا بن ابراهيم بن محمد، قدم مصر وأقام بها في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب 637-647هـ/1240-1249م ، وولي التدريس بمدرسة جهاركس قضاء العسكر، و أرسل رسولا إلى حلب سنة 644هـ/ 1246م ، ثم في سنة 647هـ/1249م عاد إلى مصر ، وتوفي بها سنة 650هـ/1252م[5] .

1- الكوفة : بالضم المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، بناها سعد بن أبي وقاص في عهد عمر بن الخطاب. (ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج4 ، ص490 ؛ البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح مصطفى السقا، ج4،ط3، عالم الكتب بيروت 1982م ، ج4 ، ص1142)

2- ابن النديم ، الفهرست، ج1، ص201-202.

3- رضوان الليث، الحياة العلمية ، ص291.

4- السيوطي ، حسن المحاضرة، مج1، ص401.

5- أيمن سلام ، المدارس الإسلامية في مصر، ص117-118.

Openkandil.com

أما عن أبرز الفقهاء الحنفية في مدينة حلب فنذكر منهم: القاضي شمس الدين محمد بن يوسف بن الخضر المعروف بابن القاضي الأبيض –قاضي عسكر العادلي– تولى التدريس في المدرسة الشاذبختية حتى وفاته سنة 614هـ/1217م[1]،والشيخ جمال الدين خليفة بن سليمان ابن خليفة القرشي الحوراني الأصل الذي درس بالمدرسة الأتابكية وبرع في مجال الفقه الحنفي في مدينة حلب وبقي مدرسا بها إلى أن توفي سنة 638هـ/1240م ،والشيخ بدر الدين يعقوب بن ابراهيم بن محمد بن النحاس الحلبي درس قي المدرسة الحسامية و بقي فيها حتى وفاته سنة 637هـ/1239م[2] .

ج- المذهب المالكي:

ينسب هذا المذهب إلى الإمام مالك بن أنس، وكان اتباع هذا المذهب يسمون مالكية نسبة إلى مالك بن أنس ولد سنة 94هـ/712م ، وتوفي سنة 179هـ/795م، أهم كتبه الموطأ[3] انتشر هذا المذهب في البداية في المدينة المنورة موطن الإمام مالك ، ثم انتشر في الحجاز وفي بلاد المغرب والأندلس التي انتشر فيهما بشكل واسع ، ويعود سبب انتشاره في بلاد المغرب الإسلامي إلى تلاميذ الإمام مالك بن أنس الذين قاموا بنشره هناك حيث برز الكثير منهم، وكان لبعض أمراء بلاد المغرب دور كبير في نشره بواسطة تقريب علمائه وتعينيهم في الكثير من مناصب الدولة وخاصة القضاء ، إلى جانب ذلك كان أهل المغرب والأندلس يرحلون نحو الحجاز والمدينة في تلك المدة من المراكز العلمية الهامة بدار الإسلام، لذلك اقتصروا في أخذ العلم من علماء المدينة وشيخهم يومئذ هو الإمام مالك وانتشر مذهب الإمام مالك في بلاد الشام عن طريق المغاربة الذين قدموا إلى هذه البلاد بقصد العلم والترحال، وكذلك في مصر[4]حيث كانت محطة على طريق الحج المغربي والأندلسي فكثر الفقهاء المالكية فيها.

1- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب ، ج1، ص347، أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص181.
2- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب، ج1، ص354-360.
3- ابن النديم ، الفهرست ، ج1، ص198-199.
4- رضوان الليث، الحياة العلمية، ص304-305.

obeikandl.com

برز في مدينة القاهرة عدد من فقهاء المالكية نذكر أهمهم: الحسين بن عتيق بن رشيق. جمال الدين أبو علي الربعي ، كان من العلماء الورعين ، وشيخ المالكية في وقته ، وعليه مدار الفتيا بالديار المصرية ، وعالما بالأصول والخلاف [1]ولد سنة 547هـ/1152م ، ومات سنة 632هـ/1234م ، وقاضي القضاة شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكي ، ولد سنة 585هـ/1189م ، وتفقه و أفتى ، ودرس بالصالحية ، وولي حسبة القاهرة ، ثم قضاء الديار المصرية، مات سنة 669هـ/1270م [2] وابن اللهيب ، شرف الدين أبي عبد الله محمد ابن عمر بن جعفر الأزدي الغساني المالكي ، وكذلك قام بالتدريس بالمدرسة الصاحبية المالكية بالقاهرة[3] .

أما في مدينة حلب فلم يوجد مدارس مالكية باستثناء مدرسة للشافعية والمالكية بالجبيل، وكان المدرس بها هو شرف الدين أبو طالب ابن العجمي وكان ملما بالمذهبين الشافعي والمالكي ، ووجد زاوية للمالكية في الجامع الأموي بحلب منذ عهد نور الدين زنكي، ولم نعثر على أسماء علماء وفقهاء مختصين بالمذهب المالكي إلا القليل، وكان أصل أغلبهم من المغرب منهم نذكر: ابراهيم بن عيسى بن أحمد الفقيه المالكي المغربي، يلقب بالحجة، فقيه حسن ، فاضل ، عارف بالأصول وبمذهب مالك، قدم على حلب قبل الستمائة،

1- علم الخلاف قال عنه ابن خلدون : أعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية ، كثر فيه الخلاف بين المجتهدين ، باختلاف مداركهم وأنظارهم ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار ، وكانوا بمكان من حسن الظن بهم ، اقتصر الناس على تقليدهم ، ومنعوا من تقليد سواهم فأقيمت هذه المذاهب الأربعة على أصول الملة ، وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها والآخذين بأحكامها ، مجرى الخلاف في النصوص الشرعية ، والأصول الفقهية ، وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه ، تجري على أصول صحيحة وطرائق قويمة يحتج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به ، و أجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه وكان في هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء الأئمة ومثارات اختلافهم ، ومواقع اجتهادهم ، وكان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ، ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام، كما يحتاج إليها المجتهد . (المقدمة ، 421-422)

2- السيوطي ، حسن المحاضرة، مج1، ص394-395.

3- المنذري، التكملة ، ج2، ص316، أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص108.

obeikandl.com

وولي التدريس بزاوية المالكية بالجامع الأموي بحلب. وبقي يدرس بها مذهب مالك إلى توفي بعد الأربعين والستمائة بحلب[1] .

د- المذهب الحنبلي:

ينسب هذا المذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة 241هـ/855م، ونشأ هذا المذهب وترعرع في بغداد موطن الإمام أحمد ، ثم انتشر في بلاد المشرق الإسلامي ، وانتشر أيضا في بلاد الشام على يد طلبة الإمام أحمد، ولكن في العصر الأيوبي لم يلق هذا المذهب الحنبلي انتشارا كبير ربما لعدم وجود العلماء القادرين على نشره وكذلك دعم الزنكيون والأيوبيون للمذهبين الحنفي والشافعي على حساب المذاهب الأخرى وذلك من خلال بناء المدارس الخاصة لهذين المذهبين ، ولم يغفل المذهب الحنبلي نهائيا و إنما وجد مدرسة للمالكية والحنبلية بحلب وهي المدرسة السيفية، وكذلك الزوايا التي أنشأها نور الدين محمود للمالكية والحنبلية[2]،والأمر نفسه ينطبق على مدينة القاهرة فلم يكن للمذهب الحنبلي حظوة مثل المذاهب الثلاثة الباقية ، ولكن وجدت مدرسة حنبلية في القاهرة وهي مدرسة عز الدين عبد الوهاب وكان حنبليا وهو من دمشق وصحب أسد الدين شيركوه عند مقدمه إلى القاهرة .[3] وكذلك كان في القاهرة المدرسة الصالحية وهي مخصصة للمذاهب الأربعة وكان من الفقهاء الحنابلة في القاهرة نذكر: القاضي شمس الدين أبي بكر محمد بن العماد ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي ولد سنة 603هـ/1206م، ومات سنة 676هـ/1277م[4] .

ثانيا: علوم اللغة العربية:

ذكر ابن خلدون أن العلوم العربية تختص بالملة الإسلامية أهلها ، وأن معرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهما بلغة العرب ،

1- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب، ج1، ص234.

2- ابن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص286 ؛ رضوان الليث، الحياة العقلية ، ص299.

3- Lapidus Ira , op, p 282 .

4- المقريزي، الخطط، ج4، ص209.

ونقلتها من الصحابة والتابعين وهم عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة[1]،وعلم اللغة العربية هو " علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات" [2] .

وعرف الجرجاني اللغة " بأنها ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[3] وفائدتها : الإحاطة بهذه المفردات ، وطلاقة العبارة و جزالتها والتمكن من التفنن في الكلام وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة والأقوال البليغة [4]،أما الحاجة إلى علم اللغة فقد أوضحها ابن خلدون بقوله: " لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبطت القوانين لحفظها..... ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم ، حتى تأدى الفساد إلى الموضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك و أملوا فيه الدواوين" [5] .

شهدت مدينتي القاهرة وحلب في العصر الأيوبي ازدهارا كبيرا لعلوم العربية من نحو وأدب وشعر ونثر، ولكن الذين ظهروا في هذا العهد لم يرقوا إلى مستوى اللغويين الأقدمين ، ولكن لا يمكن أن نغفل دورهم في إغناء المعرفة النحوية وتعميقها وتوضيحها ، وأحيانا كثيرة الإضافة إليها. وكان ذلك كله تحت عنوان " الشروح " أو " الحواشي " أو " التعليقات " والحق يقال أن النحو كغيره كان يدور في فلك النقل لا فلك الإبداع ، ولم تكن هذه سمة العلوم فحسب ، بل سمة تلك المرحلة الحضارية والثقافية الإسلامية عموما آنذاك [6] .

1- المقدمة ، ص514 .
2- رضوان الليث، الحياة العلمية ، ص309.
3- التعريفات ، ص202.
4- طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ، ج1، ص100.
5- المقدمة ، ص516.
6- فيصل الحفيان ، النحو والنحاة في حلب الأيوبية ، بحوث ندوة الحركة العلمية و الأدبية في حلب زمن الأيوبيين، حلب 2006م، ص25.

obeikandl.com

كثير من العلماء والفقهاء الذين درسوا في المدارس كانوا ملمين بعلوم اللغة العربية، ربما لأن هذه العلوم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلوم الشرعية ، فقد نزل القرآن باللغة العربية وتطلب ذلك إلمام بقواعدها من أجل تفسير القرآن ، وأحاديث الرسول "ص" ، فاللغة العربية مادة الإسلام الأولية، فكل فقيه أو مفسر أو مقرئ كان ملما باللغة العربية وقواعدها بل بعضهم اختص بالنحو إلى جانب الفقه ومنهم من اختص فقط باللغة العربية فقط ، فمعظم الذين تحدثنا عنهم في العلوم الشرعية كان لهم إسهامات بعلوم اللغة العربية ، وسوف نركز هنا على أهم من اشتهر بهذه العلوم في هاتين المدينتين في العصر الأيوبي :

أ- النحو:

نذكر في مدينة القاهرة أهمهم : عبد الله بن بري بن عبد الجبار أبو محمد المقدسي المصري،النحوي اللغوي،علق نكتا مفيدة على صحاح الجوهري المتوفى سنة 393هـ/1003م ، وشاع ذكره واشتهر ولم يكن في الديار المصرية مثله كان قيما في النحو واللغة والشواهد صنف كتاب اللباب وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 198 مجاميع، لم يكمل هو حواشي الصحاح و إنما وصل إلى وقش وهو ربع الكتاب فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البلطي،مات ابن بري سنة 582هـ/1186م ، وكانت ولادته بمصر سنة 499هـ/1105م ، وكانت عناية ابن بري موجهة إلى اللغة ، وتصحيح أغلاط اللغويين ، فوضع حاشيتين على الصحاح للجوهري، استدرك فيهما كثيرا مما فات الجوهري هذا من صحيح اللغة ، وصوب كثيرا مما وقع من الأوهام والأغلاط ، وكانت هاتان الحاشيتان أحد المنابع الستة التي اعتمد عليها ابن منظور[1] في تأليف معجمه المعروف " بلسان العرب[2] ".

نذكر يحيى بن معط بن عبد النور الزواوي ، أبو الحسين ، الملقب زين الدين ، و الزواوي نسبة إلى زواوة قبيلة كبيرة بأعمال إفريقية، ولد سنة 564هـ/1168م ، كان إماما في العربية، وكان شاعرا محسنا، وأقرأ العربية بمصر و دمشق وروى الحديث، وانفرد بعلم

1- هو محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري ، يعرف بابن منظور ولد سنة 630هـ/ وتوفي بالقاهرة 711هـ/ له مؤلفات كثيرة في اللغة العربية أشهرها معجمه المعروف بلسان العرب . (السيوطي، حسن المحاضرة ، مج1 ، ص462)

2- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم لوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تح عبد الجبار زكار ، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت 1978م، ص8 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج2، ص515 ؛ القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، تح محمد أبو الفضل ، دار الفكر العربي ، بيروت 1986م ، ج2، ص110 ؛ عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، ص218.

العربية وصنف الألفية المشهورة بألفية ابن معط ، وله كتاب العقود والقوانين في النحو وكتاب شرح سيبويه نظما، وله قصيدة في القراءات السبع ، وقصيدة في نظم كتاب الصحاح للجوهري، ونظم كتابا في العروض ، وتكمن أهميته في النحو أنه من الأوائل الذين عنوا بتأليف المنظومات العلمية على هذا الوجه، وكان أهم نظمه العلمية نظم له في النحو يبلغ ألف بيت ، ويسمى لذلك "بألفية ابن معط" وعلى نسقها نظمت "ألفية ابن مالك" وكانت طريقة العلماء في ذلك أنهم يكتبون النحو أو غيره نثرا، ثم يصوغون ما كتبوه في قالب النظم. مات سنة 628هـ/1230م ، وقبره قريب من تربة الإمام الشافعي [1].

ابن الحاجب ، عثمان بن عمر بن أبي بكر ، كان والده جنديا حاجبا للأمير عز الدين موسك، الصلاحي، ومن جاءت كنيته ، وهو كردي الجنس، ولد بأسنا من صعيد مصر في عام 570هـ/1175م ، دخل هو وأبوه القاهرة ، وبها حفظ القرآن ، ودرس العلوم المتصلة به، فقرأ القراءات على الغزنوي و الشاطبي، وسمع وتعلم بدمشق، ولازم الاشتغال حتى ضرب به المثل، وكان ذا ذكاء ممتاز، عميق الفهم، حاد القريحة، فبرع فيما درسه وأتقنه غاية الإتقان ولا سيما الأصول والعربية ، وكان الأغلب عليه علم العربية، وقد خالف النحاة في مواضع كثير، وأورد عليهم اشكالات وإلزامات مفحمة ، يعسر الجواب عنها، درس بدمشق ودرس بالقاهرة بالمدرسة الفاضلية، ولازمه الطلبة، ترك ابن الحاجب مؤلفات في النحو والعروض والصرف والفقه وأصوله، أهم هذه الكتب في النحو نذكر: كتاب الكافية: وهي متن موجز يحتاج إلى شرح يفصل مجمله، وقام ابن الحاجب بشرحها، وشرح كتاب سيبويه، وله كتاب الوافية، وهي أرجوزة قام بنظمها، وكتاب الشافية، وهي كذلك متن موجز قام هو

1- الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت ، ج3، ص129، السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص462، السيوطي ، بغية الوعاة، ج2، ص344، سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، ص145، عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية ، ص219-220.

على شرحه ، وقد عني العلماء بكتأبي الكافية والشافية فشرحوهما شروحا كثيرة ، توفي سنة 640هـ/1242م [1] .

من علماء النحو في حلب نذكر أهمهم : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي، ولد في مدينة جيان من أعمال الأندلس سنة 600هـ/ 1203-1204م ، نزيل دمشق، إمام النحاة، أخذ النحو في الأندلس وسمع الحديث في دمشق، وجالس بحلب ابن يعيش ، وهو شارح كتاب المفصل، وجالس بحلب ابن عمرون تلميذ ابن يعيش، واعتمد ابن مالك على نفسه بعد ذلك في قراءة كتب الأقدمين من اللغويين والنحويين، وحفظ كثيرا من مواد اللغة و الأدب والنحو والقراءات حتى غدا إماما لا يجارى في كل مادة من هذه المواد. وعمل على اختصار النحو في منظومات أشهرها: الكافية في ثلاثة آلاف بيت ، ثم الخلاصة وهي المعروفة " بألفية ابن مالك " وإكمال الأعلام بمثلث الكلام في اللغة ، و أتقن الشعر وله مؤلفات كثيرة فيه ، وله مؤلفات بالعربية والشعر والقراءات ، تصدر ابن مالك في مدينة حلب بعد أن أتم دراسته اللغوية وكان إمام المدرسة السلطانية بها، وأخذ يلقي بحلب دروسه في النحو ويؤلف ، ثم انتقل إلى حماة حيث تصدر بها مدة ، ثم مضى إلى دمشق حيث توفي هناك سنة 672هـ/1273م [2] .

برع في مدينة حلب أيضا موفق الدين بن يعيش ، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا الأسدي الموصلي الأصل الحلبي المولد والمنشأ، الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الصائغ ، قرأ النحو وسمع الحديث من آجل العلماء ، وحدث بحلب وكان فاضلا ماهرا في النحو والتصريف سافر إلى الموصل لسماع الحديث ثم عاد إلى حلب ، ورحل إلى دمشق أيضا ثم استقر في حلب سنة 626هـ/1228م ، وكان يقرئ بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية، وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج1، ص314 ؛ أحمد بدوي، الحياة العقلية ، ص205-207 ؛ عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية ، ص220-222.

2- ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات، ج2، ص227؛ أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص212-215 ؛عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية ، 223-227.

وهم ملازمون مجلسه لا يفارقونه قي وقت الإقراء ، وابتدأ بكتاب اللمع لابن جني ، كان العلماء والطلاب يقصدونه من كل مكان ولد سنة 553هـ/1158م ، ومات سنة 643هـ/1245م، ودفن بحلب[1] ،وابن عمرو بن جمال الدين محمد بن محمد بن أبي سعد بن عمرون الحلبي، إمام النحو بحلب تلميذ الموفق بن يعيش ، سمع كثير عن المشايخ وتخرج به أئمة مثل بهاء الدين بن النحاس، مات سنة 649هـ/1251م[2] .

ب- البلاغة والأدب:

يعرف ابن خلدون هذا العلم بأنه " الإجادة في فني المنظوم والمنثور من كلام العرب ، أو هو حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والأخذ من كل علم بطرف "[3] .

كانت البلاغة من أهم ما درس في ذلك العهد ، فقد كانت المقدرة البلاغية هي السبيل الموصل إلى المناصب العليا في الدولة ، ونبغ في هذا العصر كثير من الأدباء والشعراء والخطباء والكتاب ، وكانت طبيعة العصر تقضي ذلك ، فكانت المراسلات تعتمد على الكتاب من أجل تحرير الرسائل المتبادلة بين الدول الإسلامية ، وكذلك بين الدولة الإسلامية والصليبيين ، وقد ازدهر الشعر والبلاغة والأدب في العصر الأيوبي نتيجة ما ورثوه من الدولة الفاطمية فقد كانت هذه الدولة تكرم وتقرب الشعراء والعلماء ، وكان البلاط مليء بهؤلاء الشعراء الذين أخلصوا للدولة الفاطمية بعد سقوطها مثل الشاعر عمارة اليمني الذي جاء من اليمن إلى القاهرة زمن الفاطميين ، وكذلك في حلب فقد كانت صاحبة بلاط منذ العهد الحمداني و أميرهم سيف الدولة الحمداني ، لذلك نلاحظ بأن الأيوبيين وجدوا البلاط في كلا المدينتين القاهرة وحلب .

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص46-53، صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، ج3، ص54.

2- الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج23، ص251.

3- المقدمة ، ص612.

obeikandl.com

قام الأيوبيون باتباع سياسة أسلافهم من الدول التي سبقتهم ، فقربوا الشعراء وأكرموهم والتف الشعراء أيضا حول ملوك العصر الأيوبي ، وقد أطلقت فتوحاتهم وانتصاراتهم ألسنة الشعراء ، وكانت انتصارات صلاح الدين تنشد الشعراء الذين لم يبق منهم شاعر نابه إلا قصده مادحا، فمثلا انتصار صلاح الدين في موقعة حطين **يقول ابن الساعاتي المصري مادحا :**

جلت عزماتك الفتح المبينا فقد قرت عيون المؤمنينا

ويقول العماد الكاتب :

حططت على حطين قدر ملوكهم ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا

بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا [1] .

استلهم الشعراء من واقعهم الذي كان صراع بين المسلمين والصليبيين، وكذلك إنجازات صلاح الدين الداخلية من بناء الحصون والمساجد والمدارس، وكذلك إنجازاته الخارجية المتمثلة بانتصاراته المتتالية على الصليبيين كل ذلك أعطى للأدب دفعة قوية نحو الازدهار والزهو.

اشتهر علماء كبار بهذه العلوم في مدينة القاهرة نذكر أهمهم : ضياء الدين بن الأثير ، وهو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، نسبة إلى جزيرة ابن عمر ، لأنه ولد فيها ، واشتهر أبناء الأثير الثلاثة ؛ كل منهم بفن من الفنون حيث اشتهر أولهم- مجد الدين بالحديث ، وتوفي سنة 606هـ/1209م. ثانيهم- عز الدين الذي اشتهر بالتاريخ، وتوفي سنة 630هـ/1232م.

الثالث الأخير ضياء الدين ، لغوي أديب توفي سنة 637هـ/1239م ، تعلم ضياء الدين بالموصل وخدم السلطان صلاح الدين ، بواسطة القاضي الفاضل ، ودخل مصر ، وعندما خرج الملك الأفضل من مصر، لم يخرج منها، وإنما خرج مستخفيا ثم دخل في خدمة الملك

1- ابن تغر بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص8 ؛ رقية ابراهيم أحمد ، مصر في وجدان شعراء العصر الأيوبي، ط1، المركز المصري للكتاب ، القاهرة 1993م، ص50-51. الرمس : القبر .

الظاهر589-613هـ/1193-1216م صاحب حلب فلم يطل مقامه عنده فخرج مغاضبا وعاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته وله تصانيف عديدة منها كتاب المثل السايرفي أدب الكاتب والشاعر وهو مجلدين جمع فيه فأوعي [1]،على الرغم من انشغاله في أمور الوزارة في الدولة الأيوبية بمصر والشام فقد خلف لنا تصانيف أدبية هامة وكتابه المثل السايرهو مطبوع يدل على ذوق ابن الأثير الفني ويدرس فيه قواعد البلاغة ومباحثها دراسة ذوقية نقدية تنبه إلى الرديء ، وترشد إلى الجيد و الأجود ومن مؤلفاته أيضا " كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب " فقد بدا فيه المؤلف مستوعبا لفنون البلاغة مقتدرا على اختيار نماذجها الجيدة معتمدة على كتب البلاغيين الذين سبقوه ويضم هذا الكتاب واحد وستون بابا في فنون البلاغة والنقد الأدبي ، تتميز بسهولة الأسلوب والاستشهاد المستمر بالأبيات المعروفة والنماذج المختارة .وله كتب عديدة منها : الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية ، وكتاب البرهان في علم البيان ، وعمود المعاني [2] ،وله كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم وهو مطبوع ويمثل في صورته الأولى كتابا أدبيا يناقش ويرصد الطرائق المؤدية إلى تعلم الكتابة ، واتخاذها صناعة يتعيش منها صاحبها ، وألفه ابن الأثير في مرحلة متأخرة من حياته، وفي هذا الكتاب يقدم آراءه في أبي تمام والبحتري والمتنبي وفي حدَ الكاتب والسجع ، والسبق الزمني واللفظ والمعنى وغير ذلك..... توفي سنة 637هـ/1239م، في بغداد [3] .

عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي جمع الله له بين الفضل والمروءة والكرم والفتوة ، كان كثير الصدقات وكان القاضي الفاضل يحتاج إليه في علم الرسائل، وله كتاب معالم

1- الدمشقي ، شذرات الذهب، ج3، ص188؛ عبد للطيف حمزة، الحركة الفكرية ، ص251.

2- ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج5، ص391 ؛ ابراهيم المزيني، الحياة العلمية، ص289-291.

3- ضياء الدين بن الأثير، مقدمة كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم، تح يحيى عبد العظيم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2004م، ص97-115.

opelkandi.com

الكتابة ومغانم القربة عاش في زمان صلاح الدين ، وأخيه الملك العادل ، وكان كاتبا في ديوان الإنشاء ، واستوطن أخيرا بالقدس الشريف[1]،وكتابه معالم الكتابة يشتمل على مقدمة وسبعة أبواب : يتضمن الباب الأول فيما يجب تقديمه، ويتعين على الكاتب لزومه، تكلم فيه عن أخلاق الكاتب كيف يجب أن تكون ، والباب الثاني: في طبقات التراجم والترجمة هنا بمعنى الكلمات التي يأتي بها الكاتب قبل إمضائه، وفي هذا الباب الألقاب التي يجب أن يخاطب بها رجال الدولة ، كل حسب مقداره، والباب الثالث: في ذكر الخط ، وحروفه وبري القلم ، وإمساكه، والباب الرابع: في البلاغة وما يتصل بها ، والباب الخامس: في الألفاظ التي يقوم بعضها مقام بعض ، وهي المترادفات، والباب السادس: في الأمثال التي يصح للكاتب أن يستشهد بها، والباب السابع:فيما لابد للكاتب من النظر فيه من العبارات التي يسيء الناس استعمالها لأنهم يسيئون فهمها وإدراكها. وهذه الأبواب تدل على أن ابن شيث من تلاميذ المدرسة المصرية في البلاغة . فقد كان يحتكم إلى الذوق، وكان لا يؤثر العدول عنه إلى طريق المتكلمين والفلاسفة. وابن شيث في كل ذلك شبيه كل الشبه بأبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين وابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة وضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر [2]،ولد سنة 557هـ/1161م ، ومات سنة 625هـ/1227م، وكان كاتب سر الملك المعظم[3]،وعبد العظيم بن أبي الأصبغ البغدادي ثم المصري أحد الشعراء المجيدين ، وصاحب التصانيف المفيدة في الأدب، توفي سنة 654هـ/1256م[4]،وهو نحوي وأديب وفقيه شافعي، له كتاب الخواطر السوائح ، في كشف سرائر الفواتح [5] بين فيه ما امتاز به

1- الدمشقي، شذرات الذهب، ج3، ص117.

2- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية ، ص255-257.

3- الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج22، ص301. الملك المعظم : هو تورانشاه بن يوسف بن أيوب بن شادي ، ولد بمصر سنة 577هـ/ 1181م كان مثقفا ومهتما بالعلوم توفي سنة 648هـ/ 1250م. (الحنبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1996م ، 235)

4- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص490.

5- القنوجي، أبجد العلوم ، ج2، ص503.

obeikandl.com

القرآن من حسن ابتداءات ، وكتاب الشافية في علم القافية ، وقد برهن فيه على أن القرآن الكريم لم يقع فيه من الشعر ، إلا ما هو على مثال البيت المفرد فقط ، والبيت المفرد لا يسمى شعرا ، قصد أو لم يقصد. وبرهن على ذلك بأدلة مستقصاة في هذا الكتاب[1] وله كتاب بديع القرآن ، قال إنه أبان فيه عما في القرآن من الفنون البديعية ، فأحصى من ذلك مائة باب وثمانية أبواب ، وكتابه المعروف عند بعضهم باسم البديع في صناعة الشعر ،ولكن مؤلفه أطلق عليه اسم " تحرير التحبير" وله كتب أخرى ولكن هذه أهمها[2]،والقاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني ثم العسقلاني ثم المصري، الوزير صاحب ديوان الإنشاء وشيخ البلاغة ولد سنة 529هـ/1134م ، وقيل أن مسودات رسائله لو جمعت بلغت مائة مجلد، وله آثار جميلة وأفعال حميدة مات سنة 596هـ/1199م ، ودفن بالقرافة[3] وقال العماد الأصفهاني عنه في كتاب الخريدة في حقه رب القلم والبيان واللسن واللسان والقريحة الوقادة والبصيرة النقادة والبديهية المعجزة والبديعة المطرزة والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره أو جرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ورسخت الصنائع يخترع الأفكار ويفترع الأبكار ويطلع الأنوار ويبدع الأزهار وهو ضابط الملك بآرائه رابط السلك بآلائه إن شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة أين قس عند فصاحته وابن قيس في مقام حصافته[4] كتب كثير من الرسائل التي لها قيمة تاريخية كبرى إلى جانب قيمتها الأدبية. وعرف القاضي الفاضل كيف يجعل من مصر قبلة للباحثين والعلماء من مختلف الأقطار[5] .

نذكر من الأدباء في العصر الأيوبي العماد الأصفهاني الكاتب الوزير ، العلامة أبا عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، ولد سنة 519هـ/1125م بأصبهان، وتفقه ببغداد على

1- أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص249-250.
2- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية ، ص258.
3- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص487.
4- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص158.
5- محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى الأوضاع السياسية والحضارية، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، 2003م، ص223.

ابن الرزاز في المدرسة النظامية، وأتقن الفقه والخلاف والعربية، ثم الكتابة والترسل والنظم ، ففاق الأقران، وحاز قصب السبق،وصنف التصانيف الأدبية،مات سنة 597هـ/1200م [1] استطاع أن يظفر بحب نور الدين زنكي وبعد موته اتصل بصلاح الدين الأيوبي اتصالا قويا، والسلطان يقربه ويرفع من شأنه، ولم يزل كذلك إلى أن توفي صلاح الدين فاختلت أحواله ولزم بيته، واقبل على الاشتغال بالتصنيف حتى وفاته ، وله كتب تاريخية مثل " البرق الشامي" وقد سماه بهذا الاسم لأنه شبه أوقاته التي قضاها في الشام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها.ووضع كتاب بأخبار الدولة السلجوقية سماه "نصرة الفطرة" وألف كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" ذكر فيه تراجم أدباء القرن السادس الهجري ، وله كتاب سماه "نحلة الرحلة" ذكر فيه اختلال الأحوال بعد موت صلاح الدين ، واختلاف أولاده. وله ديوان رسائل وديوان شعر في أربعة مجلدات، وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات وصلة و ثقا [2] هناك الكثير من الأدباء والشعراء في القاهرة في هذا العصر مثل الأسعد بن الخطير مهذب بن مماتي المصري الكاتب الشاعر، من شعراء الدولة الصلاحية . كان ناظر الدواوين ، وله مصنفات عديدة ، ونظم السيرة الصلاحية ونظم كتاب كليلة ودمنة، وله ديوان شعر مات سنة 616هـ/1219م ، وجده مماتي نصراني.

السعيد أبو القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك المصري الشاعر المشهور. صاحب الديوان البديع الموشحات ، الذي سماه دار الطراز ، وكان أحد الفضلاء النبلاء ، أخذ الحديث عن السلفي والنحو عن ابن بري، وكتب بديوان الإنشاء مدة وكان بارع الترسل والنظم، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وسماه روح الحيوان. ولد في حدود سنة 550هـ/1155م ، ومات سنة 658هـ/1259م [3]،وكان قد نبغ في شعر وهو صغير وتأدب على الفاضل الذي أحبه ورعى موهبته. وكان قد حفظ القرآن وكان قد درس علم الكلام

1- السيوطي ، حسن المحاضرة، مج1، ص488، الدمشقي، شذرات الذهب، ج2، ص332.

2- محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص223؛ أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص271-272.

3- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص488.

والمنطق [1]،وله ديوان شعر فيه أكثر من ثمانين قصيدة مدح فيها القاضي الفاضل والسلطان صلاح الدين وأولاده [2]البهاء زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن الأزدي المصري الشاعر الكاتب صاحب الديوان المشهور، ولد بمكة ، نشأ بقوص ، وقدم القاهرة، وخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب مات بمصر سنة 656هـ/1258م[3]،انقسم شعره إلى قسمين : أولها: الشعر الرسمي الذي قيل في مدح السلاطين والملوك والأمراء وكبار رجال الدولة، وثانيها: الشعر التلقائي أو الذاتي. وفيه الغزل ووصف مجالس الشراب والهجاء والسخرية، وفي هذا القسم تتجلى الروح المصرية في شعر البهاء زهير ويظهر تأثره بالبيئة المصرية والتقاليد والعادات المصرية [4] نبغ في مصر كثير من الشعراء ولكن حاولنا ذكر أهمهم. نبغ في مدينة حلب كثير من الأدباء والشعراء نذكر أهمهم: الشاعر التلعفري، وهو شهاب الدين محمد بن يوسف بن سالم المعروف بابن التلعفري ، نسبة إلى تل الأعفر بالموصل تنقل بين دمشق وحلب وحماة ، ولد سنة 593هـ/1196م ، ومات سنة 675هـ/1276م[5]،وشعره يدل على تمكنه من العربية وعلومها المختلفة فضلا عما روي من أخبار عن قراءاته وثقافته وحفظه للأشعار، كما يدل هذا الشعر على أن صاحبه كان ذا ثقافة واسعة تبرز في كثير من قصائد ديوانه من علم بالقرآن الكريم والحديث و أصول الفقه، وخبرة بالأنواء ومواقع البروج، إلى مؤلفات النحو والصرف، وأسماء العلماء والنحاة واللغويين والشعراء فضلا عن خبرته بعلمي العروض والقافية، ومعرفته بالتاريخ وأحداثه ورجاله الأقدمين ، ويوظف ذلك كله

1- رقية ابراهيم أحمد، مصر في وجدان شعراء العصر الأيوبي، ص57-58.
2- محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص224.
3- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1، ص490.
4- محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى ، ص224.
5- ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج7، ص47.

Open Kanal.com

خير توظيف بما يخدم فكرته في كل غرض ينظم فيه[1]،ومحمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله الحلي النحوي الحلبي المعروف بابن حميدة ، ولد سنة 550هـ/1155م ، وهو نحوي بارع عارف باللغة وشاعرا بارزا، ومن أهم تصنيفه تأليف كتاب " التصريف " ، وكتاب " الأدوات "[2] .

شهاب الدين الشواء أو ابن الشواء وهو يوسف بن اسماعيل بن علي ، أبو المحاسن ، شهاب الدين . أصله من الكوفة، ولد في حلب سنة 562هـ/1166م ، وتوفي فيها سنة 635هـ/1237م ، وأخذ الأدب عن تاج الدين أحمد بن هبة الله المشهور بابن الجبراني . كان شاعر الملك الظاهر ، ثم شاعر ابنه الملك عبد العزيز بعده. له ديوان شعر يتألف من أربعة أجزاء ، يمتاز شعره بحسن المعاني وعذوبة الألفاظ ومتانة الصياغة، وكان متقنا لعلم العروض والقوافي شاعرا يقع له في نظم معان بديعة[3] وابن الجبراني ، وهو أحمد بن هبة الله بن سعد الله بن سعيد وينسب إلى قرية جبرين من أعمال حلب وكان ضليع في عالم الأدب خصوصا اللغة فأنها كانت غالبة عليه وكان متبحرا فيها وكان له تصدر بالجامع الأموي بحلب، وكان مولده سنة 561هـ/1165م ، ومات سنة628 هـ/1230م بحلب ودفن في سفح جبل جوشن[4] وراجح الحلي وهو شرف الدين أبي الوفاء راجح ، كان شاعر الملك الظاهر صاحب حلب وتنوع شعره بين المديح والغزل والرثاء ووصف الطبيعة، وكان كثيرا ما يعارض الشعراء وقد مدح الملوك والأمراء حيث مدح الملك الظاهر وأبناءه مضيفا عليهم

1- محمود فاخوري، ثقافة التلعفري من خلال شعره، ندوة الحركة العلمية والأدبية في حلب زمن الأيوبيين، حلب 2006م، ص42.

2- سهير علي، حلب في القرن الثاني عشر الميلادي، ص270.

3- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص28، ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج7، ص231، أحمد طعمة، شهاب الدين الشواء " حياته وشعره "، بحوث ندوة الحركة العلمية والأدبية في حلب زمن الأيوبيين، حلب 2006م، ص46.

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج7، ص237.

Obeikandi.com

القيم المدحية التي طالما رددها الشعراء في أماديحهم من كرم وشجاعة ، ومجد رفيع، وعلم غزير، وخلق حسن ، ومنزلة سامية لا تكون إلا لممدوحه. وكذلك كان شاعر رثاء أيضا فقد رثا الملك الظاهر وندبه وبكاه بكاءا حارا[1] هؤلاء أهم الشعراء والأدباء في مدينة حلب وقد وفد على حلب كثير من الشعراء ، ولم يستقروا بها، وكلهم ساهموا بتطور الحركة الفكرية بشكل عام والأدبية بشكل خاص لمدينة حلب في هذا العصر.

ثالثا: التـــاريخ:

أسهمت الأحداث المحيطة بالدولة الأيوبية في إثراء المادة التاريخية في مختلف صورها، حيث اتسعت مجالات الكتابة التاريخية في هذا العهد، فصار موضوع التاريخ شاملا للنواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والثقافية وغيرها. ويتضح ذلك من خلال النظرة إلى تنوع الدراسات التاريخية في ذلك العهد، حيث زاد الاهتمام بالتأليف في المعاجم والتراجم الشخصية، والاهتمام بالوقائع التاريخية والتاريخ المحلي للمدن، كما عني عدد من المؤرخين بدراسة أحداث التاريخ الإسلامي المختلفة، وأخذوا في تدوينها ، وترتيبها إما على هيئة حوادث مختلفة أو كتب جامعة متخصصة، وأظهروا مهارة فائقة في هذا المجال، ثم أن التاريخ السياسي للدولة أصبح في الغالب مهمة الموظفين والمقربين من السلطة، وقد أثر هذا بدوره على الكتابة التاريخية في هذا العهد في المنهج والموضوع على حدا سواء ، وكانت المصادر التي يستقون منها أخبارهم هي الوثائق الرسمية التي تتهيأ لهم بسبب العلاقات الشخصية، أو سماع ما يدور بين الموظفين وكبار المسؤولين من حديث. كما أن بعض المؤلفات التاريخية في تلك الفترة لم تكن تخلو من التعصب ، سواء المذهبي أو القبلي أو الشخصي مما يفقد المؤرخ روح الموضوعية التي ينبغي أن تتوفر فيه، كما أن الكتابة التاريخية لم تقتصر على المؤرخين فحسب، بل شملت الطبقة المثقفة كلها فوجد المحدث والفقيه والأديب ممن شاركوا في الكتابة التاريخية وهذا الوضع ينسجم مع واقع الحياة العلمية في ذلك العصر.

1- ميادة التو نجي، الشاعر راجح الحلي والملوك الأيوبيين، بحوث ندوة الحركة العلمية و الأدبية في حلب زمن الأيوبيين، حلب 2006م، ص45.

obeikandl.com

برز في هذا العصر عدد من المؤرخين في مدينتي القاهرة وحلب ، كان لهم دور كبير في توثيق تاريخ هذا العصر بالإضافة إلى اهتمامهم بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي على السواء ، وسوف نستعرض أهم هؤلاء المؤرخون في مدينتي القاهرة وحلب .ونظرا لتشعب الاختصاصات فقد وجدنا المؤرخين هم فقهاء أو أدباء أحيانا والعكس صحيح ولكن وجد بعضهم من أعطى الكتابة التاريخية الأهمية الأولى، ووحدة الأحداث جعلت المؤرخين في المدينتين ينهجون نفس النهج في الكتابة والأحداث ، فمن هؤلاء المؤرخين نذكر أهمهم:

الوزير القفطي، جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني، وزير حلب. ولد بمدينة قفطى من صعيد مصر الأعلى سنة 568هـ/1172م وتوفي سنة 646هـ/1248م في حلب [1]،وهو من العلماء الإجلاء الذين مارسوا التأليف والإدارة معا ، ولكنه كان مائلا بطبعه إلى العلم والمعرفة ، راغبا في المطالعة والتأليف ، تولى الوزارة من سنة 633هـ/1235م حتى 646هـ/1248م سنة وفاته للملك الظاهر وابنه العزيز، قال عنه ياقوت الحموي[2] " اجتمعت بخدمته في حلب فوجدته جم الفضل ، كثير النبل، عظيم القدر، سمح الكف، طلق الوجه حلو البشاشة، وكنت ألازم منزله ويحضر أهل الفضل وأرباب العلم، فما رأيت أحدا فاتحه في فن من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه وعلم الحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وجميع فنون العلم على الإطلاق إلا قام به أحسن قيام". وقد بلغت مؤلفاته نحو 25 مؤلفا في شتى فنون العلم والمعرفة كان منها: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، أخبار المحمديين من الشعراء ، أخبار المصنفين وما صنفوه، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، تاريخ المغرب ومن تولاها ، كتاب الضاد والظاء ، مشيخة تاج الدين الكندي ، المفيد في أخبار أبي سعيد ، واعتمد القفطي على مجموعة كبيرة من المصادر تقع في مقدمتها الرواية الشفوية التي قام المؤلف بالسؤال عن موضوعات متعددة في كتابه إلى شيوخه ومعاصريه لتوثيق تلك النصوص، واعتمد أيضا على أعلام النحو

1- السيوطي، حسن المحاضرة ، مج1، ص479.
2- معجم الأدباء ، ج15، ص179.

واللغة والتاريخ والتفسير..... ، فنقل كثيرا من النصوص عنهم في بيان ما يحتاجه لسيرة المترجم الشخصية والعلمية ، وختم المصادر بالكتب المؤلفة السابقة على عصره فنقل عنها معلومات مهمة ونصوصا نافعة لا نجدها في المصادر المتوافرة بين أيدينا لفقدان تلك الكتب وضياعها[1] ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر الإربلي الشافعي . صاحب كتاب وفيات الأعيان ، ولد سنة 600هـ/1203م ، وأجاز له الطوسي ، وتفقه بابن يونس وابن شداد ، ولقي كبار العلماء وسكن مصر مدة ، وناب في القضاء بها، ثم ولي قضاء الشام عشر سنين ثم عزل فأقام بمصر سبع سنين ثم رد إلى قضاء الشام ، كان أخباريا عارفا بأيام الناس ، مات سنة 681هـ/1282م[2] .

اشتهر في مدينة حلب مؤرخين كثر، ولكن سوف نتحدث عن أشهرهم وهو مؤرخ حلب المشهور ابن العديم ، وهو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة ، يكنى أبا القاسم ، ويلقب كمال الدين وهو من أعيان أهل حلب وأفاضلهم ، ولد بحلب سنة 588هـ/1192م ، وكان مقرب لدى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين حاكم حلب رغم صغر سنه، وكان يحضر مجلسه ، ونال من المعارف الدينية والدنيوية الكثير، وتولى ابن العديم أول عمل رسمي له في سنة 616هـ/1219م ، حيث تولى التدريس بالمدرسة الشاذبختية ، وهي من آجل المدارس بحلب ، وكان عمره 28 سنة ، رغم وجود كثير من العلماء والمشايخ بحلب ، إلا أنه كان أهلا لذلك دون غيره . ثم تولى التدريس بالمدرسة الحلاوية[3]،وعلا نجم ابن العديم في السياسة حتى وصل إلى مرتبة الوزير وكان سفير ملوك حلب إلى ملوك الدول المجاورة وحكامها وإلى الخليفة العباسي، وكان عمله في السياسة قد أمده بأهم مصادره التاريخية وهي الوثائق ، وغلب على مؤلفاته السمة التاريخية[4].

1- صالح المهدي عباس الخضيري، جمال الدين القفطي ومنهجه التأريخي في كتابه إنباه الرواة في أنباه النحاة، بحوث ندوة الحركة العلمية والأدبية في حلب زمن الأيوبيين، حلب 2006م، ص31-32 ، أحمد بدوي، الحياة العلمية، ص273- 275.

2- السيوطي، حسن المحاضرة، مج1 ، ص479-480.

3- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16،ص 5 وما بعدها.

4- كمال بدور، مملكة حلب ، ص218.

Openkanari.com

وأشهر مؤلفاته : بغية الطلب في تاريخ حلب ، وهو كتاب ضخم يتألف من ثلاثين جزءا أو أربعين مجلدا مرتبا حسب أحرف الهجاء ، ويعتبر مصدرا أساسا لتاريخ بلاد الشام جنوبا وشمالا ثم تاريخا للإسلام بشكل عام.وهو مفقود لم يبق منه إلا أجزاء متفرقة، حققه الدكتور سهيل زكار اعتمادا على مخطوطات إسطنبول ، في أحد عشر جزءا في دمشق حيث صدر عن دار البعث 1988م ، وتضمن الجزء الحادي عشر الفهارس العامة . ويحوي الكتاب مقدمة جغرافية هامة ، وفصل عن أنساب القبائل التي سكنت في منطقة شمال الشام ، وفصل عن الإمكانات المائية والاقتصادية للمنطقة، وفي ثنايا ذلك أورد أخبار فتوح حلب والشمال، أما باقي الأجزاء فهي تراجم مرتبة أبجديا ، ويقدر عدد المترجم لهم بحوالي ألفين وثمانين شخصية ، ويضم جزء أسماء الأشخاص الذين عرفوا باللقب بدلا من الاسم[1]،أما عن منهجه في الكتاب فقد اعتمد على طريقة واضحة تعتمد في ذكر الأسماء على حروف المعجم ، والغرض منها تسهيل الوصول إلى ترجمة الشخصية المطلوبة من غير مشقة ، وقد اعتمد على مصادر موثوقة، وكان يذكرها دائما مثل الواقدي والبلاذري والطرشوشي ، وابن حوقل والبلخي و الاصطخري وغيرهم كثير. أما كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب ، فقد انتزع مادته العلمية من البغية قبل اكتمال كتاب البغية ، ويبدو أن الملك العزيز هو الذي طلب منه كتاب مبوبا حسب السنين ، وأن يختصر كتابه الكبير " البغية " وألف كتب كثيرة ولكن ما يهم هي الكتب التاريخية، وقد قام الشيخ طاهر بن حسن ، المعروف بابن حبيب الحلبي (ت 808هـ/1405م) باختصاره وسماه " حضرة النديم في تاريخ ابن العديم" وكذلك فعل رضي الدين ، محمد الحنبلي (ت 971هـ/1563م) وأطلق عليه اسم "الزبد والضرب في تاريخ حلب" أما الطبيب الجرماني تيودور بيشوف ، فقد وضع كتاب اسماه "تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء" وذيل عليه قاضي القضاة علاء الدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن سعد

1- ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب ، ج1، ص9-10، كمال بدور، مملكة حلب ، ص219.

الطائي ، الحلبي ابن خطيب الناصرية (ت 843هـ/1439م) بكتاب سماه "الدر المنتخب في تاريخ حلب أو تكملة تاريخ حلب" وقد قام عز الدين بن شداد بتصنيف كتاب "الأعلاق الخطيرة في تاريخ أمراء الشام والجزيرة" ويبدو أنه نقل المعلومات المتعلقة بحلب من كتاب البغية، وهي معظمها جغرافية [1].وانتقل ابن العديم إلى القاهرة حين تعرضت حلب إلى الدمار على يد جيش هولاكو سنة 657هـ/1258م، وكان قد غادر إلى دمشق، ثم إلى غزة فالقاهرة ، ويبدو أنه عاد بعد معركة عين جالوت إلى دمشق ثم إلى حلب حيث عرض عليه منصب قاضي القضاة، فرفض وعاد إلى القاهرة ، حيث أمضى بقية حياته، وقد وافته منيته في مصر في سنة 660هـ/1261م [2] .

أما عن بقية العلوم فلم نعثر بالمصادر التاريخية على أي إشارة تشير على أنها درست في المدارس في هذا العصر في هاتين المدينتين فقط اقتصر التدريس على العلوم الشرعية والعلوم الخادمة لهذه العلوم مثل علوم العربية بجميع فروعها من لغة ونحو وأدب وشعر وبلاغة وعروض وغيرها، كذلك التاريخ ، أما غيرها فلم تسعفنا المصادر بأية معلومة عنها. لأن الطب مثلا كان يدرس في البيمارستان، وكان يقوم بالجانب العملي والنظري في وقت واحد ، ومن ثم نشأة مدارس خاص بالطب في العصر المملوكي مثل المدرسة المهذبية[3] والتي ساهمت في نشر الثقافة الطبية ، و كانت دور العلماء تأدي وظيفة اتعليم والتدريس في بعض

1- ابن العديم ، مقدمة كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج1، ص15-17؛ كمال بدور، مملكة حلب، ص220-222.

2- ابن العديم، زبدة الحلب ، ج1 ، ص19.

3- هذه المدرسة خارج باب زويلة من خط حارة حلب بجوار حمام قماري بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبي الوحش رئيس الأطباء كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما في صناعة الطب المولود بالقاهرة سنة 620هـ/1223م خدم الظاهر بيبرس وفي سنة 684هـ/1285م عين رئيسا مرسوم سلطاني ، كما عين مدرسا للطب بالبيملرستان المنصوري. (المقريزي ، الخطط ، ج4 ، ص202 ؛ أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص53)

openkandil.com

العلوم العقلية و أيضا الشرعية [1].ووجد في مدينة دمشق مدرسة للطب في هذا العصر وهي المدرسة الداخورية[2]،على العموم لم يكن في مدينتي القاهرة وحلب مدارس للطب في العصر الأيوبي.

obeikandl.com

1- أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص53.

2- تنسب هذه المدرسة إلى الطبيب عبد الرحيم بن علي الداخور ، الذي وقف داره لتكون مدرسة للطب في مدينة دمشق ، ووقف عليها أوقافا كثيرة ، وحدد فيها مرتب للمدرس ومرتبات للمشتغلين بها، وهو اول من درس بها، وكان علامة في صناعة الطب انتهت إليه رياسة صناعة الطب ، صنف كتب كثيرة في الطب من أشهرها : اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي ، مقالة في الأستفراغ ، كتاب الجنينة في الطب وغيرها كثير، توفي سنة 628هـ/1230م . (ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،تح نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت د.ت ، ص728-735 ؛ محمد كرد علي ، خطط الشام ج6 ، ص108 ؛ أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص69) .

obeikandl.com